

مقالات في كلمات

للأستاذ محمود غنيم

العمل المظلم

أسرفت القوانين على اختلاف أنواعها في توحى العدالة ، ولكن يظهر أن تحقيقها لا يزال يقضى الإنسانية انتظار زمن طويل ، إن لم نقل : إن ذلك مستحيل

أرأيت ذلك الذى يطيح القصاص برأسه جزاء إثم اقترفه ؟ لقد حكم القضاء بإدائته مرتاح الضمير ، معتقداً أنه أقر الحق في نصابه ، وقابلت أنت الحكم بالهتاف للعدالة ، ونسيت أن لهذا الحكم العادل ناحية فيها ظلم صارخ . ما ذنب أطفال هذا الجرم الذين أسقطهم القضاء من حساب ، خرمهم كاسبهم ، ورماهم باليتم من غير إثم اقترفوه ؟ أغلب الظن أن القصاص العادل مهد لهؤلاء الأطفال البراء سبيل الاجرام ، فكأنه استأصل شرّاً وأثبت ضروراً ، وأراح الإنسانية من وجه ثم أتمها من وجوه

ما ذنب المرأة يلقي زوجها في أعماق السجون باسم القانون ، تنتشور تلك الحرة جوعاً ، أو تاكل بشديها ؟ وقد تكون ياتها — وهى البريئة للطلاق — أشام من حياة زوجها — وهو المذنب السجين — ؟

وكم تكون دهشتي كلما تذكرت حكم الفقهاء في طلاق السكران التمدى ! إنهم يوقعون طلاقه تفليظاً عليه ، كأن مسألة الطلاق لا تعنى إلا إياه ، وليس الرجل فيها إلا طرفاً من طرفين ، بل من عدة أطراف ، إذا لم نسقط من حسابنا شريكته في الحياة وأطفاله الصغار . ألسنا بذلك نكون قد قضينا على زوجة ، وشردنا بنين ، لأننا أردنا أن نلقى على رجل سكران درساً أشك كل الشك في قسوته ؟ أجل ، فمن الجلى أن الرجل هنا يرتكب أخف الضررين ، ففى استطاعته أن يتزوج لأن أمر زواجه موكول إليه ، أما الزوجة المنكودة — التى لم تاترك السكاس ولم تنفك الحان — فليها أن تنتظر ثم تنتظر ، لأن أمر زواجها ليس إليها

كلنا يهتف المساواة ويمتبرها ضرباً من ضروب الانصاف ، ولكنى ألاحظ أن ذنباً واحداً قد يقترفه اثنان ، معيشة أحدهما في السجن لا تختلف عنها كثيراً في منزله ، بينما يؤثر ثانيهما الانتحار على أن يقضى في السجن سحابة نهار . فهل تعتبر وحيد الحكم عليهما من العدل في شيء ؟ ثم ماذا تقول إذا كان أحدهما متهماً لالا كسب له ، وكان للثاني عمل يدر عليه الربح الوفير ؟ لا شك أننا في هذه الحالة نكون قد حكمنا على الثاني بفرامة فادحة ، لم يصب الأول منها قليل ولا كثير

ولقد يتخاضم المتخاصمان أحدهما في سمة من الرزق يستطيع أن يستعين بجيش من ماهرة المحامين ، بينما ثانيهما مقل لا يستجيب له إلا من يقنع بالأجر الطفيف ، وهكذا يدور القانون بينهما في كل شيء ، ويفعل هذه الناحية الحساسة ، ذات الأثر البالغ في تكييف الحكم ، وتكون النتيجة أن ينتصر باطل الأول على حق الثاني باسم العدل والقانون

وبعد فلست أجهل أن القوانين لا تنظر إلى الأفراد بمقدار ما تنظر إلى المجموع ، وأنها كثيراً ما تضحي بمصلحة الفرد في سبيل الصالح العام ، ولكنى أبحث عن العدل المطلق ، العدل الذى لا يشهد مديته على كبش من كباش الغداء

اللذة السلبية

عرفت بالتجربة أن من أطيب الأوقات التى تمر بالإنسان تلك الأوقات التى ينسى فيها نفسه بسفر طويل وإن كان لفبر غرض ، أو بإمعان في تفكير وإن لم يكن من ورائه طائل ، أو إنهماك في « لعبة » وإن كانت غير ذات جدوى . وجلى أن الإنسان لا يفيد من ذلك فائدة يستطیع أن يرجع إليها ما يشعر به من لذة ، فهل مصدر تلك اللذة هو مجرد نسيان الإنسان نفسه حيناً من الدهر ؟ إن صح ذلك فأحر بنا أن نطلق على هذه اللذة اسم « اللذة السلبية »

أغلب الظن أن ذلك صحيح ، وعليه يكون مجرد الشهور بالحياة عشا على الأحياء ، ويكون الاحتياى على التخلص منه عين فينة وأخرى داعية سرور وارتياح . ومما يدعم هذه النظرة

الانسان يتسهم به الجسم على سر الأيام ، ويخف حمله بطول المران عليه

إذن لا بد من ألم الجوع والظما حتى يستشعر الانسان لذة الشبع والرى ، ولا بد من جحيم الفراق حتى يشعر بنعيم الوصال ، ولا بد من حرارة العمل حتى يحس برد الراحة ، بل لا بد من المرض حتى يدرك الانسان أنه صحيح معاف . بعد هذا نستطيع أن نقول بملء الفم : إن الألم شرط في إحداث اللذة ، وإن النعيم المحض لم يكتب لخلق في هذه الحياة ، وإنما غنى به الكتب المقدسة البررة الصالحين في دار الخلود . ومن هنا التمس الناس السعادة من قديم الزمان في كل مكان فأعياهم التماسها ، لأنهم ينفونها صرفا غير مشوبة بشائبة ، ولم يفتنوا إلى أن الألم شرط في إحداثها ، ومقوم من مقوماتها

اللذة والألم متكافئان ، حظ الناس منهما واحد ، مهما تفاوتت أقدارهم في الهيئة الاجتماعية ، وتفاوتت حقايقهم من الجاه والمال ، غاية ما في الأمر أن لكل منهما صورا وأشكالا متباينة وإن كان الشعور به في قرارة النفس واحدا

فمراء للفقراء ، وليعلموا أنهم هم وأرباب المال والجاه . على قدم المساواة

وكرم حماده

محمد غنيم

وَحْيٌ بِخِلَالِكِ

صَوْرٌ وَجْدَانِيَّةٌ وَأَدَبِيَّةٌ وَاجْتِمَاعِيَّةٌ

بقلم الدكتور زكي مبارك

يطلب من المكتبات الشهيرة
وتمن النسخة عشرة قروش

تلك اللذة التي يشعر بها الخمور ، وماذا يفيد الخمور من جرعات الراح التي يتجرعها بين تفضن الأميرة وتقطيب الرجه ، إلا فترات غيبوبة ينسى فيها نفسه ، ويدغم شموره ، ويفارق حيويته إلى حين ؛ حتى إذا ذهبت نشوته ، وتسرب إليه شموره ، ودغ نعيمه ، وعاد إلى دنيا المعلوم ؟

إذا وافقتني على ذلك استطعنا أن نحمل ذلك اللغز الذي حير الأفهام من قديم الزمان ، وهو « متى يستشعر النائم لذة النوم » إن قلت : قبله ، قلنا : لا يشعر الانسان لذة شيء قبل مباشرة ، وإن قلت : أثناءه ، قلنا : لا شعور للنائم . وإن قلت : بعده ، قلنا : ما شعور الانسان بلذة شيء ؟ أقول : إذا وافقتني على تلك النظرية استطعنا أن نستبر لذة النائم من نوع اللذة السلبية ، أي تلك الملاحظات التي غرق فيها في السبات ، فذاب عن الوعي ، واطرح أعباء الحياة ، وتخلص من نير الشعور

ولعل من هذا كان حظ الانسان من الآلام النفسية يتناسب مع مبلغ حدة شموره ودقة إحساسه طردا وعكسا ، فإن ذا الحس الرفيف أشد حيوية من غيره . والشاهد أن أشد الناس تمسكا بالحياة هم أقلهم حظا من التفكير والإحساس ، لأنهم إلى الموت أقرب منهم إلى الحياة . ومن قديم قيل :

والعيش خير في ظلال النوك ممن عاش كدا
غير أنني أخشى إذا تمشيت مع هذه النظرية أن أتحدر إلى القول بأن الموت سر السعادة الأبدية

اللذة والألم

هل تحسب أن بائع المطور يستشعر ما تستشعر أنت لما من رائحة زكية ؟ إن الانسان ليجلس في بستان برهة من الزمان ، فتصاب أعصابه حاسة شمه بالشل ، حتى ما يفرق بين ورد وريحان ، أو قل وباسميت

هذا مثل مادي يبين لنا تصرف اللذة والألم في الحياة ، فالنظر الجليل إذا أدمنت التحديق فيه أصبح مألوفا عاديا لا يحرك مشاعرك ؛ والطعام الشهى إذا أكرت تناوله فقد جاذبيته ، بل قد يصل إلى درجة تعافه منها النفوس . ولقد يظفر الموظف بأجازة يوم فيشعر بفبطة لا حد لها ، ثم يسامح بعد ذلك مشهورا فتعقد الساعحة سحرها ، بل إن الأم التي يستثقل وطأة